

قَتَادَةُ بْنُ دَعَامَةَ السَّدُوسِيِّ وَدَوْرُ مَرْوِيَّاتِهِ فِي دَعْمِ التَّفْسِيرِ

أحمد جاسم نافي الركابي

كلية أصول الدين الجامعة / ميسان - العراق

فحوى البحث

يقوم البحث على بسط جهود ودور تابعي جليل هو قتادة بن دعامة السدوسي في تفسير القرآن الكريم مستفيداً من النبي الأكرم ﷺ والصحابة الكرام وشيوخه من التابعين وفي مقدمتهم الحسن البصري.

يبدأ البحث ببسط حياة (قتادة) وسيرته ومذهبه وعلمه ومصادر رواياته

ومنهجته في التفسير ومنها:

- تفسير القرآن بالقرآن.

- تفسير القرآن بالسنة النبوية.

- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

ثم يضرب أمثلة تطبيقية مما روي عنه في كتب التفسير في العصور التي تلت عصره كتفسير الطبري والطوسي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المتتبعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الذين خصهم الله تعالى بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ **الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** [سورة التوبة: ١٠٠].

مدخل:

تفسير القرآن الكريم في عهد التابعين

في البدء لابد لنا من الوقوف على تعريف مفردة التابعين، فهي جمع لكلمة تابعي، والتابعي ((هو من لم ير رسول الله ﷺ، لكنه آمن به والتقى أحد الصحابة وكان له معه مقابلة أو مقابلات ولقاء وحوار، ثم ظل على هذه الحال من الإيمان حتى رحل عن الدنيا))^(١)، فلم يكد ينتهي عهد الصحابة حتى ظهر رجال أكفاء، ليخلفوهم ويحملوا

(١) مدارس التفسير الإسلامي، علي أكبر بابائي: ٢٧٥ / ١.

أمانة الله ويبلغوا رسالته في الأرض، وهم التابعون الذين اتبعوهم بإحسان، فمثلوا بين يدي أكابر الصحابة الأعلام، ونهلوا من علومهم واهتدوا بهديهم، وأسهموا بشكل كبير في نشر تعاليم الإسلام ومفاهيم الكتاب والسنة النبوية المطهرة في مختلف المدن الإسلامية^(٢)، ((ولاشك أنهم كانوا على مبلغ عظيم من العلم ودقة الفهم، لقرب عهدهم من عهد النبوة، واتصال ما بين العهدين بعهد الصحابة، ولعدم فساد سليقتهم العربية، والفساد الذي شاع فيما بعد، حتى بلغ درجة المهجنة والمزيج اللغوي))^(٣).

وحيثما ارتحل الصحابي وحل في بلد إسلامي كان قد شيد فيه مدرسة واسعة الرحب يقصدها طلاب العلم، ويستقون علوم الكتاب والسنة من روادها الأوائل، فظهرت عدة مدارس لتفسير القرآن الكريم وأشهرها: مدرسة مكة التي أسسها عبد الله بن عباس، ومدرسة المدينة التي

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الشيخ محمد هادي معرفة: ٣١٥ / ١.

(٣) التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي: ٩٤ - ٩٥ / ١.

أسسها أبي بن كعب الأنصاري، ومدرسة الكوفة التي أسسها عبد الله بن مسعود، ومدرسة البصرة التي أسسها أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري، واشتهر فيها الحسن البصري وقتادة، ومدرسة الشام التي أسسها أبو الدرداء عويمر بن عامر الخزرجي الأنصاري^(٤).

طبيعة تفسير التابعين:

لقد واجه التفسير في عهد الصحابة والتابعين مشكلة لغوية وتاريخية متمثلة بالنص القرآني الكريم، فالكلام في اللغة العربية تشترك في تحديد معناه عوامل مختلفة يمكن تلخيصها بما يأتي^(٥):

١. الوضع اللغوي للفظ، فإن كل لفظ في اللغة له معنى خاص ومحدد.
٢. القرائن اللفظية ذات التأثير الخاص على الوضع اللغوي، التي تسبب صرف اللفظ من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي.
٣. القرائن الحالية التي يكون لها تأثير

(٤) ينظر: التفسير والمفسرون: (م. س) ١ / ٣١٥ - ٣٢٠.

(٥) ينظر: علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم: ٢٥٧ - ٢٥٨.

خاص على المدلول اللفظي، وهي الأحوال والظروف والملابسات التي تحيط بالنص. وهذه العوامل الثلاثة تشترك في تحديد دلالة الألفاظ والتراكيب، فعندما يحاول المفسر فهم القرآن ويصطدم بإحدى هذه الأمور فهو يواجه مشكلة لغوية، وعندما يحاول أن يتعرف على خصوصيات الأحوال والظروف الموضوعية لعصر نزول القرآن الكريم، أو التي سبقت عصر النزول كقصص الأنبياء والأقوام الماضين، أو التي تنبأ القرآن الكريم بوقوعها في المستقبل فإن ذلك يمثل مشكلة تاريخية^(٦).

وفي ضوء هذا التحديد للمشكلة اللغوية والتاريخية التي واجهت التفسير آنذاك تتضح طبيعة المرحلة التفسيرية التي مر بها التابعون حينما واجهوا الكلام الإلهي (النص القرآني الكريم) وحاولوا معرفة معانيه ومدلولاته، فالذي يطلع على تفسير التابعين يجد ثلاثة محاور رئيسة كانت موضع اهتمام المفسرين، وهي^(٧):

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٨.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٨.



اللغوية والتاريخية وفهم النص القرآني وتفسيره، وهذه المصادر تقترب من المصادر التي اعتمدها الصحابة من قبلهم، وذلك لتقارب العصرين، وهي كالآتي^(٩):

أولاً: القرآن الكريم: فالقرآن كما عبر عنه أمير المؤمنين (عليه السلام): ((يُنطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ))^(١٠)، فيه تفصيل المجمل وتقييد المطلق وتخصيص العام، ونسخ ما أثبتته من حكم سابق، وهذه الطريقة القرآنية تتيح للمفسر أن يستفيد من بعض الآيات القرآنية ليفهم بها بعض الآيات الأخرى.

ثانياً: المأثور عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في تفسير القرآن: فقد كان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يفسر القرآن الكريم بشكل عام، وإن لم يكن قد فسر كله، إلا إنه كان يفسر القرآن بمقدار ما تفرضه ظروفه بصفته صاحب رسالة ودعوة إلى الله تعالى، وقائد دولة تواجهه

أ. التعرف على الدلالة المعجمية للمفردات القرآنية، مع مقارنة النص القرآني بكلام العرب لتحديد الاستعارة القرآنية.

ب. تتبع أسباب النزول والحوادث التاريخية والأحوال التي ارتبطت ببعض الآيات القرآنية.

ج. ذكر التفصيلات التي وردت في أحاديث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما ورد في النصوص الإسرائيلية من قصص الأنبياء أو غيرها من الحوادث التي أشار إليها القرآن الكريم.

وكل من هذه المحاور له علاقة وثيقة باكتشاف المعنى القرآني لغوياً وتاريخياً؛ لأنها تنتهي إلى العوامل المؤثرة في تكوين دلالة الألفاظ والتراكيب، وتشخص الظروف والأوضاع في حركة التاريخ^(٨).

مصادر المعرفة التفسيرية للتابعين:

كان التلقي عن الصحابة في التفسير هو العنصر الأول والمفضل للمفسرين في هذه المرحلة، ثم أخذوا بالتوسع والتطور فاعتمدوا مصادر مختلفة لمواجهة المشكلة

(٨) ينظر: علوم القرآن: ٢٥٨.

(٩) ينظر: التفسير والمفسرون: ١ / ٧٦، وعلم التفسير، الدكتور محمد حسين الذهبي: ٢٩، والتفسير والمفسرون في ثوبه القشيب للشيخ معرفة: ٤٤٧ - ٤٥١، وعلوم القرآن: ٢٦٢ - ٢٦٨.

(١٠) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ١٧ / ٢.

مشاكل المسلمين وأسئلته، فيبين المفاهيم العامة عن الإسلام وتشريعاته، وكان ما يصدر منه يتلقاه الصحابة ويحفظه الكثير منهم، واعتمدوا عليه من بعده في إيضاح بعض معاني القرآن، ثم نقلوه إلى التابعين.

ثالثاً: مراعاة أسباب النزول: فهي تشكل جزءاً من القرائن الحالية التي توضح المعنى القرآني، وتسهم في حل المشكلة اللغوية والتاريخية التي واجهت المفسرين بعد رسول الله ﷺ، وذلك بالرواية عن الصحابة الذين عاصروا الأحداث والمناسبات التي رافقت زمن النزول، والتعرف على ظروفها وخصوصياتها، ومن ثم التعرف على ما تمنحه للمعنى القرآني من إيضاح وتبيين.

رابعاً: معرفة اللغة العربية المتداولة في كلام العرب على اختلاف لهجاتها، فإن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وطبيعة المرحلة التي تواجه النص القرآني بوصفه مشكلة لغوية تفرض أن تكون اللغة العربية من أبرز مصادر التفسير.

خامساً: العلوم والمعارف المستجدة التي اكتسبها المسلمون بفضل التوسع

في رقعة الإسلام، والانفتاح على الآداب والثقافات الواردة من الأمم التي دخلت في دين الله أفواجاً، وقد أفاد منها التابعون في فهم معاني كلام الله تعالى.

سادساً: نصوص من كتب العهدين: فكان التابعون يرجعون إلى بعض هذه النصوص التي فيها تفصيل لما أجمله القرآن، مما لا يحتمل فيها التحريف، كما في تاريخ أنبياء بني إسرائيل وسيرة ملوكهم وغيرها من قصصهم وأخبارهم.

ولعل السبب الرئيس الذي حدا بالصحابة والتابعين إلى أن يلجئوا إلى أهل الكتاب في تفسيرهم هو إقصاؤهم أهل البيت (عليه السلام) عن المرجعية الفكرية^(١١)، وهم بذلك فقدوا العنصر الخارجي الأصيل، وهو الوحي الإلهي الذي تلقاه النبي ﷺ وقام بتعليمه وتفسيره، والدور التعليمي المهم الذي كان من المفترض أن يؤديه الإمام علي (عليه السلام) ومدرسته، أما أهل الكتاب الذين كانوا يمثلون مصدراً من مصادر التفسير فهم عنصر خارجي غير أصيل^(١٢).

(١١) ينظر: علوم القرآن: ٢٦٧.

(١٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧١.



سابعاً: ما يفتحه الله عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى، وذلك بإعمال النظر والاعتماد على بعض الدلائل والقرائن التي تساعدهم على فهم الآيات.

(قتادة بن دعامة السدوسي)

اسمه ونسبه:

هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري، ولد مكفوف البصر^(١٣)، (سنة ٦١) للهجرة، عاش في مرحلة التابعين، وتوفي (سنة ١١٧) للهجرة وهو في سن السادسة أو السابعة والخمسين^(١٤).

مذهبه:

لم تصرح كتب الرجال بمذهبه، إلا أن هناك من يرى وجود بعض القرائن التي تدل على أنه كان من أهل السنة، ومن هذه القرائن^(١٥):

١. ورود ترجمته في كتب رجال السنة

(١٣) ينظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني: ٨ / ٣١٥، والكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي: ٢ / ٥١.

(١٤) ينظر: تهذيب التهذيب: ٨ / ٣١٨.

(١٥) ينظر: مدارس التفسير الإسلامي: ١ / ٣٧٤-٣٧٥.

٢. إنه من الذين قالوا: «سلوني»^(١٦) كما قالها غيره من أهل السنة، بينما لا يوجد أحد من الشيعة من ادعى ذلك؛ لأنها خاصة بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣. نُسب إليه القول بالقدر، ولا يوجد أحد في الشيعة من يعتقد بذلك.

وهناك رأي آخر مخالف تماماً لهذا الرأي، يتبناه الشيخ محمد هادي معرفة الذي يرى أن رمية بالقدر كان بسبب قوله بالعدل، حسبما كان يقول به شيخه الحسن البصري، وكانت العامة ممن تأثروا بمذهب أبي موسى الأشعري وحفيده أبي الحسن الأشعري يرون خلاف ذلك، إذ يرون أن الأفعال كلها مخلوقة لله وعن إرادته، وليس للعبد اختيار في عمله^(١٧)، ثم يصرح الشيخ (معرفة) بمذهب قتادة

(١٦) يُروى ((أن قتادة دخل الكوفة فقال: سلوا عما شئتم، فسألوه عن نملة سليمان أذكر هي أم أنثى، فلم يعلم فأفحم)). مستدرک سفينة البحار، الشيخ علي النمازي: ٤ / ٤١٣، ولزید من التفصیل ينظر: الإمام علي عليه السلام، أحمد الرحمانی الهمدانی: ٣٥٦-٣٥٨. (١٧) ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ١ / ٤١٣.

بقوله: ((هذا، وقد عُرف قتادة السدوسي بالولاء لأهل البيت وعلى رأسهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وفي التاريخ منه مواقف مشرّفة سجّلها أهل السير والحديث))^(١٨)، وينقل ثلاث روايات تدعم رأيه، أولها رواية تحكي ما جرى من محاورة بين قتادة وخالد بن عبد الله القسري^(١٩)، إذ سأله خالد عدة أسئلة عن أحوال العرب في وقعة بدر ومنها سؤاله: ((... وَيَلَكَّ يَا قَتَادَةُ مَنْ الَّذِي يَقُولُ: «أَوْفِي بِمِيعَادِي وَأَحْمِي عَنْ حَسَبٍ» فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ لَيْسَ هَذَا يَوْمَئِذٍ هَذَا يَوْمٌ أَحَدٌ خَرَجَ طَلْحَةَ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ وَهُوَ يُنَادِي: مَنْ يُبَارِزُ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ أَحَدٌ فَقَالَ إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ تَجْهَرُونَ بِأَسْيَافِكُمْ إِلَى النَّارِ وَنَحْنُ نَجْهَرُكُمْ بِأَسْيَافِنَا إِلَى الْجَنَّةِ فَلْيَبْرُزَنَّ إِلَيَّ رَجُلٌ يُجْهَرُنِي

(١٨) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ١/

٤١٣.

(١٩) كان عاملاً لهشام بن عبد الملك على العراقيين، وهو ملحد زنديق عدو للإمام علي عليه السلام فلا يتوانى عن لعنه على المنابر، أبوه عبد الله بن يزيد من أصل يهود تيماء وأمه رومية نصرانية، وكان يقول: لو أمرني هشام بتخريب الكعبة لهدمتها ونقلت حجارتها إلى الشام. ينظر: سفينة البحار، المحدث القمي: ١/ ٤٠٦.

بِسَيْفِهِ إِلَى النَّارِ وَأَجْهَرُهُ بِسَيْفِي إِلَى الْجَنَّةِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا ابْنُ ذِي الْحَوَاضَيْنِ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ

وَهَاشِمِ الْمُطْعِمِ فِي الْعَامِ السَّغْبِ

أَوْفِي بِمِيعَادِي وَأَحْمِي عَنْ حَسَبِ

فَقَالَ خَالِدٌ لَعَنَهُ اللَّهُ: كَذَبَ لَعْمَرِي وَاللَّهِ أَبُو تُرَابٍ مَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَالَ الشَّيْخُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَتُذَنُّ لِي فِي الْإِنْصِرَافِ قَالَ: فَقَامَ الشَّيْخُ يُفَرِّجُ النَّاسَ بِيَدِهِ وَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: زَنْدِيقُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ زَنْدِيقُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ))^(٢٠).

ويعلق الشيخ معرفة على هذه الرواية قائلاً: ((هذا ينبئك عن ولاء قتادة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام))^(٢١).

وفي الرواية الثانية يذكر ما نقله أبو حمزة الثمالي من التائب الذي وجهه الإمام الباقر عليه السلام لقتادة، إذ جاء فيها: ((... أَقْبَلَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام وَحَوْلَهُ أَهْلُ خُرَاسَانَ وَغَيْرُهُمْ يَسْأَلُونَهُ عَنْ مَنَاسِكَ الْحَجِّ فَمَضَى حَتَّى جَلَسَ

(٢٠) الكافي، الشيخ الكليني: ٨/ ١١٢ - ١١٣.

(٢١) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ١/

٤١٥.



قتادة بن دعامة السدوسي ودور مروياته في دعم التفسير

ومما تقدم يمكننا أن نسلک طريقاً ثالثاً وسطاً فنقول: إن قتادة بن دعامة كان من أهل السنة المعتدلين الذين يجلون أهل البيت عليه السلام ويودونهم، وكما هو الحال في كل زمان، إذ نجد التاريخ حافلاً بهذه النماذج الإنسانية الطيبة التي نالتهم رحمة الله تعالى فأبصروا طريق الحق وتمسكوا بالثقلين كتاب الله والعترة الطاهرة، وخير ما يؤيد هذا الرأي ما نقله الذهبي عن عفان عن قيس بن ربيع قال: ((قدم علينا قتادة الكوفة، فأردنا أن نأتيه فقبل لنا: إنه يبغض علياً عليه السلام فلم نأته، ثم قيل لنا بعد: إنه أبعد الناس من هذا، فأخذنا عن رجل عنه)) (٢٣).

أساتذته في التفسير:

لم يعثر الباحثون على أستاذ خاص لقتادة في التفسير سوى من ذكرهم ابن حجر ممن روى عنهم قتادة، ومن بين الصحابة الذين روى عنهم: أنس بن مالك، وأبو الطفيل، وأبو سعيد الخدري، ومن المفسرين التابعين: الحسن البصري، وسعيد بن المسيب، وعكرمة (٢٤)، إلا أن المشهور

مجلسه وجلس الرجل قريباً منه قال أبو حمزة: فجلست حيث أسمع الكلام وحواله عالم من الناس فلما قضى حوائجهم وأنصرفوا التفت إلى الرجل فقال له: من أنت قال: أنا قتادة بن دعامة البصري فقال له أبو جعفر عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة قال: نعم فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إن الله جل وعز خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حجباً على خلقه فهم أوتاد في أرضه فوام بأمره نجباء في علمه اضطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه قال: فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك قال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي ﷺ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴿٣٦﴾ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﷺ [سورة النور: ٣٦-٣٧] فأنت ثم ونحن أولئك فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجارة ولا طين...)) (٢٢).

(٢٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٥ / ٢٧٢.

(٢٤) ينظر: تهذيب التهذيب: ٨ / ٣١٥-٣١٦.

(٢٢) الكافي: ٦ / ٢٥٦-٢٥٧.

إنه كان تلميذاً للحسن البصري وسعيد بن المسيب وقد أفاد من علمهما، وذلك بقرينة قوله: ((جالست الحسن اثنتي عشرة سنة، أصلي معه الصبح ثلاث سنين، قال: ومثلي أخذ عن مثله)) (٢٥).

علمه ومكانته العلمية:

شهد عصر التابعين ازدهاراً علمياً واسعاً، واهتماً كبيراً بنشر العلوم المختلفة، فبرز عدد من العلماء الأجلاء الذين يشار إليهم بالبنان، ومن بينهم (قتادة) الذي كان عالماً كبيراً بالأنساب وأشعار العرب والحديث فضلاً عن علمه بالفقه، حتى قيل إنه «فقيه أهل البصرة» (٢٦)، ويضيف السيوطي قائلاً: ((ومع حفظ قتادة وعلمه بالحديث كان رأساً في العربية واللغة وأيام العرب والنسب)) (٢٧)، كما رُويت له آراء تفسيرية في كتب الفريقين، مما يدل على أنه كان من مفسري القرآن الكريم في عصر

التابعين (٢٨)، بل من المفسرين الرواد في البصرة.

ومن جهة أخرى فقد احتل قتادة مكانة علمية كبيرة في عصره، ومرت الروايتان (الثانية والثالثة) اللتان تنقل الحوار الذي دار بينه وبين الإمام الباقر (عليه السلام) وقد تضمنتا شهادة من الإمام المعصوم على أنه فقيه أهل البصرة ومفسر القرآن، فضلاً عن ذلك فقد كثرت أقوال العلماء الذين عاصروه وشهدوا له بالفضل، منها ما رواه عمرو بن عاصم الكلابي عن سلام بن مسكين عن عمران بن عبد الله قال: ((لما قدم قتادة على سعيد بن المسيب جعل يسأله أياماً وأكثر، قال: فقال له سعيد: أكل ما سألتني عنه تحفظه؟ قال: نعم، سألتك عن كذا فقلت فيه كذا، وسألتك عن كذا فقلت فيه كذا، وقال فيه الحسن كذا، قال: حتى رد عليه حديثاً كثيراً، قال: يقول سعيد: ما كنت أظن أن الله قد خلق مثلك)) (٢٩)، ويروى عن سعيد بن المسيب قوله: ((ما أتاني عراقي

ومدارس التفسير الإسلامي: ١ / ٣٧٧.

(٢٥) الطبقات الكبرى، محمد بن سعيد: ٧ / ٢٢٩.

(٢٦) ينظر: الكنى والألقاب: ٢ / ٥١، والتفسير

والمفسرون في ثوبه القشيب: ١ / ٤١١.

(٢٧) تذكرة الحفاظ، الذهبي: ١ / ١٢٣.

(٢٨) ينظر: مدارس التفسير الإسلامي: ١ / ٣٧٤.

(٢٩) الطبقات الكبرى: ٧ / ٢٣٠.



قتادة بن دعامة السدوسي ودور مروياته في دعم التفسير

المصادر الأخرى أن لقتادة كتاباً في تفسير القرآن^(٣٤).

٣. عواشر القرآن: ذكره ابن سعد في طبقاته^(٣٥)، وهو مفقود أيضاً.

اعتماد المفسرين على تفسيره:

تحتل مرويات قتادة مكانة كبيرة بين تفاسير المسلمين وللفريقين على السواء، فمن يطلع على هذه التفاسير يجد الكثير من الأقوال والآراء التفسيرية لقتادة في أغلب الآيات المفسرة، ومن ذلك مثلاً: تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني، الذي يعد من أقدم التفاسير بالمأثور يكاد يعتمد كلياً على تفسير قتادة، وتفسير جامع البيان للطبري الذي يفوق تفسير عبد الرزاق بالاعتماد على تفسير قتادة؛ وذلك لتعدد الطرق التي يروي عنها الطبري على خلاف عبد الرزاق الذي اكتفى بالرواية عن معمر بن راشد فقط، وغيرها من كتب التفسير الأخرى،

(٣٤) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة: ١ / ٤٥٦، وهدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي: ١ / ٨٣٤، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة: ٨ / ١٢٧.
(٣٥) ينظر: الطبقات الكبرى: ٧ / ٢٧٣.

أحسن من قتادة)^(٣٠)، كما ورد عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: ((ما قلت لمحدث قط أعد علي، وما سمعت أذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي))^(٣١)، وغيرها الكثير من الأحاديث التي لا يسعنا ذكرها جميعاً وكلها تشيد بعلم قتادة وفضله وقوة حفظه ومدى حرصه على التفقه والتعلم، حتى قال فيه مطر الوراق: ((كان قتادة عبد العلم))^(٣٢).

آثاره القرآنية:

ذكر الدكتور فؤاد سزكين أربعة كتب لقتادة منها ثلاثة قرآنية، وهي^(٣٣):

١. الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى: حققه الدكتور حاتم صالح الضامن، وطبعته مؤسسة الرسالة في بيروت عام ١٤٠٤هـ.

٢. التفسير: وهو مفقود، ويبدو أنه كان تفسيراً كبير الحجم، وقد ذكره الطبري أكثر من ثلاثة آلاف مرة، وقد ذكرت

(٣٠) تهذيب التهذيب: ٨ / ٣١٦.

(٣١) المصدر نفسه: ٨ / ٣١٧.

(٣٢) سير أعلام النبلاء: ٥ / ٢٧٦.

(٣٣) ينظر: تاريخ التراث العربي، الدكتور فؤاد سزكين: مج: ١، ج: ١، ص: ٧٥-٧٦.



منهجه في تأويل القرآن:

(٣٦) ينظر: الإمام قتادة بن دعامة السدوسي، أقواله ومروياته في التفسير، عزيز الرحمن عبد الأحد، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤١٣هـ، ص: ٥٣.

وقد يأتي تأويله ضعيفاً كما في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعُهمْ فِي أَفْئادِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [سورة البقرة: ١٩]، إذ تأول قوله (حذر الموت): حذراً من الموت^(٣٩)، وينتقد الطبري هذا التأويل بقوله: ((وذلك مذهب من التأويل ضعيف، لأن القوم لم يجعلوا أصابعهم في آذانهم حذراً من الموت فيكون معناه ما قال إنه مراد به حذراً من الموت، وإنما جعلوها من حذار الموت في آذانهم))^(٤٠).

وقد يبالغ في التأويل كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَصْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقِضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة البقرة:

(٣٧) جامع البيان، ابن جرير الطبري: ١ / ٢٠٦.
 (٣٨) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٢٠٧.
 (٣٩) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٢٢٧.
 (٤٠) المصدر نفسه: ١ / ٢٢٧.



قنادة بن دعامة السدوسي ودور مروياته في دعم التفسير

نشأ منذ عصر نزول القرآن، إذ سلكه رسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ والصحابة والتابعون وجمهور المفسرين، فتتبعوا الآيات التي يفسر بعضها بعضاً، وتوصلوا إلى معاني القرآن ومقاصده؛ لأن القرآن يشتمل على وحدة موضوعية متكاملة، يكمل بعضها بعضاً، ويوضح بعضها بعضاً^(٤٣).

وقد سلك قنادة في تفسير القرآن بالقرآن مسلكين؛ الأول: تفسير الآية القرآنية بآية أخرى، والثاني: تفسير الآية ومن ثم الاستشهاد بآية أخرى.

ومثال الأول: تفسيره قوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [سورة العنكبوت: ٢٧]، في شأن النبي إبراهيم عليه السلام، قال: هي كقوله: ﴿وَأَتَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [سورة النحل: ١٢٢]^(٤٤).

وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ [سورة الحجر: ١٨]، قال: هي نحو قوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾

(٤٣) ينظر: دروس في التفاسير ومناهج المفسرين، فارس علي العامر: ١٨.
(٤٤) ينظر: تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني: ٩٦ / ٣.

٢٤٥]، إذ تأول (وإليه ترجعون): وإلى التراب ترجعون، فمن التراب خلقهم وإلى التراب يعودون^(٤١)، في حين أن دلالة السياق واضحة ولا تقبل أدنى شك بأن المراد منها: وإلى الله ترجعون.

منهجه في تفسير القرآن:

في ضوء الاطلاع على أقوال قنادة ومروياته التفسيرية يتضح أنه يسير على منهج سليم في التفسير، فهو يفسر القرآن بالقرآن، ويفسر القرآن بالحديث النبوي الشريف، وبأسباب النزول، وبالناسخ والمنسوخ، وبأقوال الصحابة والتابعين، ولكن يؤخذ عليه أنه يذكر الإسرائيليات، ويكثر من ادعاء النسخ^(٤٢)، ولم يتخذ من أئمة أهل البيت ﷺ مرجعية فكرية له في التفسير، بصفتهم ﷺ عدل القرآن الكريم. ويمكن أن نتناول هذه النقاط وغيرها بشيء من التفصيل وكما يأتي:

١. تفسير القرآن بالقرآن:

وهو من أفضل مناهج التفسير، وقد

(٤١) ينظر: المصدر نفسه: ٢ / ٨٠٦.

(٤٢) ينظر: الإمام قنادة بن دعامة السدوسي، أقواله ومروياته في التفسير: ٦١.

[سورة الصافات: ١٠] (٤٥).

وفي قوله تعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [سورة المرسلات: ٣٠]، إذ يفسر ﴿ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ بقوله: ((هو كقوله ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [سورة الكهف: ٢٩]... والسرادق: دخان النار، فأحاط بهم سرادقها، ثم تفرق، فكان ثلاث شعَب، فقال: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾: شعبة ههنا، وشعبة ههنا، وشعبة ههنا، ﴿لَا ظِلِيلَ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ﴾ [سورة المرسلات: ٣١]...)) (٤٦).

ومثال الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٦٥]، قال: وعباده المؤمنون، مستشهداً على هذا المعنى بآية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة النحل: ١٠٠] (٤٧).

وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا

يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [سورة مريم: ٨٧]، ففسر (العهد) في الآية الكريمة بطاعة الله تعالى، مستدلاً على ذلك بآية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفْعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [سورة طه: ١٠٩] (٤٨).

ومثال ذلك أيضاً تفسيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [سورة فاطر: ٣٢]، فهو يفسر (الظالم لنفسه): بالمتناقض، و(المقتصد): بأنه صاحب اليمين، و(السابق بالخيرات): بالمقرب، ثم يستشهد بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٨٨) ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ (٨٩) ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩٠) ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩١) ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ (٩٢) ﴿فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ﴾ (٩٣) ﴿وَنَصْلِهِ جَحِيمٍ﴾ [سورة الواقعة: ٨٨ - ٩٤] (٤٩).

(٤٥) ينظر: جامع البيان: ١٤ / ٢١.

(٤٦) جامع البيان: ٢٩ / ٢٩٦.

(٤٧) ينظر: جامع البيان: ١٥ / ١٥٣.

(٤٨) ينظر: جامع البيان: ١٦ / ١٦٠.

(٤٩) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢ / ١٦٢ - ١٦٣.

قتادة بن دعامة السدوسي ودور مروياته في دعم التفسير **الْبَصَائِح** •

٢. تفسير القرآن بالسنة النبوية:

من المعلوم أن السنة النبوية تمثل أقوال النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ وفعلهم وتقريرهم (عند أتباع مدرسة أهل البيت ﷺ)، أما عند غيرهم فالسنة تمثل ما جاء عن رسول الله ﷺ وحده (٥٠).

وتعد السنة الشريفة المصدر الثاني بعد القرآن الكريم في التشريع والفكر الإسلامي، وفي التعريف بمفاهيم القرآن الكريم، وشرح مقاصده، وتوضيح ما خفي من مجملاته (٥١).

ومن الملاحظ أن قتادة مقل بالرجوع إلى أهل البيت ﷺ في التفسير، ويبدو أنه لم يعدهم ضمن السنة الشريفة، إلا أن ذلك لا يمنع أن يتقبل منهم شيئاً من التفسير إن صادف والتقى بأحدهم ﷺ.

ومن أمثلة تفسير قتادة بالسنة النبوية:

قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ

وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾

[سورة البقرة: ٢٣٨]، إذ فسر (الصلاة

(٥٠) ينظر: دروس في التفاسير ومناهج المفسرين: ٢٣.

(٥١) ينظر: مقدمات في علم التفسير، السيد صدر الدين القبانجي: ١٠٦ - ١٠٧.

الوسطى) بصلاة العصر، وذلك لقول رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: ((اللهم املاً قلوبهم وبيوتهم ناراً، كما شغلونا - أو كما حبسونا - عن الصلاة الوسطى حتى غربت الشمس)) (٥٢).

كما روى قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال: ((الصلاة الوسطى صلاة العصر)) (٥٣).

وكذلك في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة

البقرة: ١٩٣]، فقد فسر (ويكون الدين لله) بأن يقال: لا إله إلا الله، وذلك لقول رسول الله ﷺ: ((إن الله أمرني أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)) (٥٤).

٣. تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

ومثاله ما أورده في تفسير قوله تعالى:

(٥٢) جامع البيان: ٢ / ٧٥٧.

(٥٣) المصدر نفسه: ٢ / ٧٥٩.

(٥٤) المصدر نفسه: ٢ / ٢٦٦.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ...﴾

[سورة الحجر: ٢٤]، قال: ((كان ابن عباس يقول: آدم عليه السلام ومن مضى من ذريته)) (٥٥).

ومثال ذلك ما نقله عن الحسن البصري في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة الحجر: ٤١]، قال: ((... هذا طريق علي بن أبي طالب عليه السلام ودينه، طريق ودين مستقيم فاتبعوه وتمسكوا به فإنه واضح لا عوج فيه)) (٥٦).

٤. تفسير القرآن بأسباب النزول:

من منهجه أنه يفسر القرآن بأسباب النزول وهو كثير في تفسيره (٥٧)، من ذلك ما روي عنه أنه قال: ((لما ذكر الله العنكبوت والذباب قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران، فأنزل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا

(٥٥) جامع البيان: ١٤ / ٣٢.

(٥٦) الطرائف، ابن طاووس الحسني: ٩٦-٩٧،

وينظر: شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني:

١ / ٧٨، إذ ينقل المعنى ذاته للآية الكريمة

بتفسير الإمام الباقر عليه السلام.

(٥٧) ينظر: الإمام قتادة بن دعامة السدوسي،

أقواله ومروياته في التفسير: ٧٣.

مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [سورة البقرة:

٢٦]] (٥٨).

ومن عاداته في ذكر أسباب النزول أن يذكر بعض عادات العرب في الجاهلية (٥٩)، ومن ذلك ما جاء في تفسيره قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ...﴾ [سورة البقرة: ١٨٩]، قال: ((سألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك: لم جعلت هذه الأهلة؟. فأنزل الله فيها ما تسمعون: هي مواقيت للناس فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم ولناسكهم وحجهم وعدة نسائهم ومحل دينهم في أشياء، والله أعلم بما يصلح خلقه)) (٦٠).

٥. تفسير المفردات القرآنية:

ومن منهجه تفسير المفردات القرآنية، وذلك بأن يختار الكلمة الغريبة أو الغامضة من الآية الكريمة، ثم يأتي بمعناها اللغوي، مراعيًا بذلك دلالتها في الاستعمال القرآني وموضعها السياقي، وهي ظاهرة بارزة في تفسيره.

(٥٨) تفسير القرآن: ١ / ٤١.

(٥٩) ينظر: الإمام قتادة بن دعامة السدوسي،

أقواله ومروياته في التفسير: ٧٦.

(٦٠) جامع البيان: ٢ / ٢٥٣.



البصباح

بعض جزئياتها بقوله: ((إن ذا القرنين
بنى السد على أحد وعشرين قبيلة، وبقيت
منهم قبيلة دون السد فهم الترك)) (٦٥).

وكذلك في قصة موسى عليه السلام مع العبد
الصالح التي يقول فيها: ((قيل لموسى آية
لقياك إياه أن تنسى بعض متاعك، وكان
موسى وفتاه تزودا حوتا مملوحاً حتى إذا
كانا حيث شاء الله رد الله إلى الحوت روحه
فسرب في البحر، فذلك قوله: ﴿فَاتَّخَذَ
سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ ((...)). (٦٦).

٧. تفسير الأمثال القرآنية:

كما في قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُۥ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُہٗ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۚ﴾

[سورة الرعد: ١٧]، إذ يقول: ((هذه ثلاثة أمثال ضربها الله تعالى في مثل واحد، شبه نزول القرآن بالماء الذي ينزل من السماء، وشبه القلوب بالأودية والأنهار، فمن

(٦٥) بحار الأنوار، للمجلسي: ٦ / ٢٩٨.

(٦٦) التبان: ٧ / ٦٦.

من ذلك مثلاً تفسيره مفردة (التقديس)
الواردة في قوله تعالى: **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ**
وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴿ [سورة البقرة: ٣٠]، إذ
فسرها بالصلاة^(٦١).

وكذلك مفردة (صَيَّبَ) الواردة في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ...﴾ [سورة البقرة: ١٩]، فسر ها بالمطر (٦٢).

وفي تفسيره قوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ﴾ [سورة البقرة: ١٨]، يذكر معاني مفردات الآية الكريمة بقوله: ((«صم» لا يسمعون الحق «بكم» لا ينطقون به «عمي» لا يرجعون عن ضلالتهم...)) (٦٣).

وفي قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهُمَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [سورة مريم: ٢٤]، إذ فسر (السري) بأنه الجدول، وهي تسمية أهل الحجاز (٦٤).

٦. ذكره بعض مقاطع القصص القرآني:

كما في قصة ذي القرنين التي ذكر

(٦١) ينظر: تفسير القرآن: ١ / ٤١.

(٦٢) ينظر: التبيان: ١ / ٩١.

(٦٣) التبيان، الشيخ الطوسي: ١ / ٨٨ - ٨٩،

وينظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ١/

.110

(٦٤) ينظر: جامع البيان: ١٦ / ٨٩.

استقصى في تدبره، وتفكر في معانيه، أخذ حظاً عظيماً منه كالنهر الكبير الذي يأخذ الماء الكثير، ومن رضي بها أداه إلى التصديق بالحق على الجملة كان أقل حظاً منه كالنهر الصغير، فهذا مثل. ثم شبه الخطوات ووساوس الشيطان بالزبد يعلو على الماء، وذلك من خبث التربة، لا عين الماء. كذلك ما يقع في النفس من الشكوك فمن ذاتها، لا من ذات الحق. يقول: فكما يذهب الزبد باطلاً، ويبقى صفوة الماء، كذلك يذهب مخايل الشك هباءً باطلاً، ويبقى الحق، فهذا مثل ثانٍ. والمثل الثالث قوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ إلى آخره، فالكفر مثل هذا الخبث الذي لا ينتفع به، والإيمان مثل الماء الصافي الذي ينتفع به^(٦٧).

وتحليل الصور البيانية التشبيهية التي بنيت عليها الأمثال في الآية الكريمة، يكشف عن الدقة التي امتلكها قتادة في التفسير، وتمكنه من الأساليب البلاغية التي جاء عليها القرآن الكريم.

٨. ذكر المواعظ والحكم والحث على

الأخلاق:

(٦٧) مجمع البيان: ٦ / ٣٠.

يمتاز تفسير قتادة بذكر المواعظ والحث على الأخلاق مما قل نظيره في تفاسير عصره، فإذا مر بآية فيها عظة وعبرة توقف عندها ونبه على ما فيها من دروس أخلاقية، ويبدو أنه متأثر بشيخه الحسن البصري المعروف بالوعظ، فضلاً عن استعماله التعبير الجمالي المؤثر^(٦٨).

ومثال ذلك ما ورد في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧]، قال: ((هذا ميثاق أخذ الله على أهل العلم، فمن علم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم، فإن كتمان العلم هلكة، ولا يتكلفن رجل ما لا علم له به، فيخرج من دين الله، فيكون من المتكلفين، كان يقال: مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه، ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب. وكان يقال: طوبى لعالم ناطق،

(٦٨) ينظر: الإمام قتادة بن دعامة السدوسي، أقواله ومروياته في التفسير: ٨٥.



ومن ذلك مثلاً تفسيره (حم) في سورة غافر، إذ فسر بها بأنها اسم من أسماء القرآن، وكذا الأمر في تفسيره (ق) في سورة ق^(٧٤).

١١. تفسير القرآن بالقراءات القرآنية:

من ذلك تفسيره (الصوم) بالصمت في قوله تعالى: ﴿فَكُلْ وَاشْرَبْ وَفَرِّ عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [سورة مريم: ٢٦]، قال: ((في بعض الحروف صمتاً وإنك لا تشاء أن تلقى امرأة جاهلة تقول نذرت كما نذرت مريم ألا تكلم يوماً إلى الليل وإنما جعل الله تلك آية لمريم وابنها ولا يحل لأحد أن ينذر صمتاً يوماً إلى الليل، وأما قوله صوماً فإنها صامت من الطعام والشراب والكلام))^(٧٥).

١٢. بيان مصاديق بعض الآيات القرآنية:

كثيراً ما نجد قتادة يعطي رأيه بمصداق الآية القرآنية دون أن يستدل بأية قرائن داخلية أو خارجية، وهذا يدل على سعة علمه وعمق ثقافته القرآنية، إذ تكون

في تفسير الحرف (ص) الوارد في مستهل سورة ص.

(٧٤) ينظر: جامع البيان: ٢٤/ ٥٠، و٢٦/ ١٨٩.

(٧٥) تفسير القرآن: ٧/ ٣.

المعاني لديه واضحة جلية لا يحتاج فيها إلى تفكير أو تأمل، ومن ذلك تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة: ٢٦٩]، قال: هو القرآن^(٧٦).

١٣. ذكره الإسرائيليات:

مما يؤخذ على قتادة أنه يذكر الإسرائيليات في تفسيره، مما يجعله موضع انتقاد العلماء والدارسين، من ذلك مثلاً حديثه عن قصة آدم عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [سورة الحج: ٢٦]، إذ يقول: ((وضع الله البيت مع آدم، أهبط الله آدم إلى الأرض وكان مهبطه بأرض الهند، وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فكانت الملائكة تنابه، فنقص إلى ستين ذراعاً، فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسييحهم، فشكا ذلك إلى الله، فقال: يا آدم إني قد أهبطت لك بيتاً يطاف به كما يطاف حول عرشي، ويصلي عنده كما

(٧٦) ينظر: مجمع البيان: ١/ ٣٣.



ونشره إدارة الثقافة والنشر في الجامعة،
١٤١١هـ.

٤. التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة
أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي،
تح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار
إحياء التراث العربي، مكتب الإعلام
الإسلامي، ط / ١، ١٤٠٩هـ.

٥. تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس
الدين الذهبي، دار إحياء التراث
العربي، مكتبة الحرم المكي، (د. ت).
٦. تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام
الصنعاني، تح: الدكتور مصطفى
مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض،
ط / ١، ١٤١٠هـ.

٧. التفسير والمفسرون، الدكتور محمد
حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة،
ط / ٧، (د. ت).

٨. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب،
الشيخ محمد هادي معرفة، منشورات
الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية،
مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة
الرضوية المقدسة، ط / ١، ١٤١٨هـ.

٩. تهذيب التهذيب، ابن حجر

يصلى عند عرشي، فانطلق إليه، فخرج
إليه آدم، ومد له في خطوه، فكان بين كل
خطوتين مفازة، فلم تزل تلك المفازة على
ذلك، فأتى آدم البيت فطاف به ومن بعده
من الأنبياء)) (٧٧).

أهم مصادر البحث

القرآن الكريم.

١. الإمام علي عليه السلام، أحمد الرحماني الهمداني،
المنير للطباعة والنشر، ط / ١، ١٤١٧هـ.
٢. الإمام قتادة بن دعامة السدوسي، أقواله
ومروياته في التفسير، عزيز الرحمن عبد
الأحد، رسالة ماجستير، جامعة أم
القرى، كلية الدعوة وأصول الدين،
١٤١٣هـ.

٣. تاريخ التراث العربي، الدكتور فؤاد
سزكين، تر: الدكتور محمود فهمي
حجازي، راجعه الدكتور عرفة
مصطفى، والدكتور سعيد عبد
الرحيم، المملكة العربية السعودية،
وزارة التعليم العالي، جامعة محمد بن
سعود الإسلامية، أشرف على طباعته

١٥. الطبقات الكبرى، محمد بن سعيد، دار صادر - بيروت، (د. ت). ١٤٠٤ هـ.
١٦. الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس الحسني، مطبعة الخيام - قم، ط / ١، ١٣٧١ هـ.
١٧. علم التفسير، الدكتور محمد حسين الذهبي، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).
١٨. علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الأشرف، ط / ٥، ٢٠١٠ م.
١٩. الكافي، الشيخ الكليني، تح: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، ط / ٣، ١٣٨٨ هـ.
٢٠. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
٢١. الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، تقديم: محمد هادي الأميني، (د. ت).
٢٢. مدارس التفسير الإسلامي، علي أكبر بابائي، تعريب: كمال السيد، مراجعة: فريق مركز الحضارة، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط / ١، ١٤١١ هـ.
- العسقلاني، دار الفكر، ط / ١، ١٤٠٤ هـ.
١٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ.
١١. دروس في التفاسير ومناهج المفسرين، فارس علي العامر، ط / ١، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، طهران، ١٤٢٨ هـ.
١٢. سفينة البحار، المحدث القمي، (د. ت).
١٣. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: شعيب الأرناؤوط، وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط / ٩، ١٤١٣ هـ.
١٤. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت عليه السلام، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تح: الشيخ محمد باقر محمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط / ١، ١٤١١ هـ.



قتادة بن دعامة السدوسي ودور مروياته في دعم التفسير المصباح •

- بيروت، ط / ١، ٢٠١٠م. المثنى، بيروت، (د.ت).
٢٣. مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، تح: الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤١٩ هـ.
٢٤. معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، مكتبة المثنى، بيروت، (د.ت).
٢٥. مقدمات في علم التفسير، السيد صدر الدين القبانجي، ط / ٢، مؤسسة إحياء التراث الشيعي، النجف الأشرف، ١٤٢٧ هـ.
٢٦. هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

